ترجمات خاصة بالمركز الفلسطيني للإعلام

# الصـــــــــراع الثقـــــــــــــــــــــــافي بين المتدينين والعلمانيين في "إسرائيل"

تأليف الكاتب الصهيوني
أبيعزر ربتكسي

الفهرس

# مقدمة

تكشفت في السنوات الأخيرة في أوساط المجتمع "الإسرائيلي" خلافات تنمو وتتعاظم في قضايا الدين والدولة ، القداسة والعلمانية ، الشريعة والحرية ،وفي قضايا التوجه الشخصي والجماعي كذلك .

وفق وجهة النظر التي تتشكل بسرعة في الجدل الجماهيري ، تظهر هذه الخلافات لتشكل بالضرورة وتكشف ميولا واتجاهات لانقسام ثقافي وانتقادات للهوية الجماعية التي تهدد بتقويض الأسس الجوهرية للصهيونية التقليدية إلى جانب النواة "الإسرائيلية" التي نبتت وتفتحت منها .

هذا التوجه الانتقادي تتجلى أيضا في المرحلة الأخيرة بشكل صريح في أكثر من موقع وجلسة معينة حيث الجميع يتحدثون عن انقطاع في التحديث والذي يمكن وصفه أحيانا " ما قبل الصهيوني " للمبادئ وأسس الوفاق الاجتماعي في "إسرائيل" .

في هذه الورقة أحاول النصح بالنظر بطريقة أخرى في المواضيع ذاتها ، حيث التنافس الحالي بين المتدينين والعلمانيين، الذي لا يوضح مسارات تقويض وانقسام فقط و إنما له دلالات أخرى للتحرر الاجتماعي والتعددية الثقافية .

أولاً : إن بداية الوضع الراهن ، السياسي والاجتماعي بين المتدينين والعلمانيين في "إسرائيل" يقوم في هذه اللحظة على الفرضية العظيمة المشتركة التي قبلت من قبل جانبي المتراس ـــ أن المعسكر المعادي يتقلص ويقل ويضمحل ، وربما سينتهي من العالم وإلى الأبد ، ورغم ذلك فإن المواجهة الحالية بين المعسكرات تبرز تطورات وتنامي وعي جديد بموجبه يبدو الآخر ممثلاً ظاهرة مستقرة وحية لها استمرارية وسيكون لها أبناء وأحفاد .

ثانياً : الصراع الحالي يكشف أيضا انتقادات على النموذج الوحيد والسائد "للإسرائيلي" الأصيل كما شاع في الماضي لكن فجأة ورغم ذلك سيتيح الفرصة للمجموعات التي كانت هامشية ( شرقيون ، متدينون ، تحريفيون ) إلى صدر المسرح الاجتماعي في "إسرائيل" .

ثالثاً : خلافات كثيرة في موضوع الدين والدولة تنبع اليوم من الحقيقة أن الأعداء التاريخيين الأكثر صلابة للصهيونية السياسية ( متدينون من هنا و إصلاحيون من هناك ) تعايشوا لفترة في المسار الواقعي ، رغم أنهم كانوا يتصارعون في لحظات مرة ، ويتساءلون : ماذا سيكون عليه شكل الدولة الصهيونية وماذا ستطرح من قوانين في مسألة الهوية اليهودية ؟ ونتيجة لذلك .. فان دولة "إسرائيل" لا تبرز فقط نجاح رؤيا يهودية واحدة ، و إنما نشأت ساحة واسعة ومقنعة لصراع على مستقبل اليهود واليهودية .

أنا لم آت لإنكار أنه في جميع هذه المسارات ( التوجيهات ) يبرز خطر ملموس للاعتراض والانقسام ، ولكن في نفس الوقت برأيي أن أطرح جذور الصراع الاجتماعي بكل خطورته ، وعلى الرغم من ادعائي ، هذه المظاهر هي نتاج بؤر جديدة للتضامن والإسناد

وتقدم " وطن " للأقليات التي همشت أنها تخفي ، بإيجابية نبتات محتملة لتطور مجتمع متعدد الأبعاد يمثل بشكل جوهري حجم الورطة المستقبلية لليهودية المعاصرة .

# تكهنات مضللة

بعد عام من قيام دولة "إسرائيل" وفي سنة 1949 نشر الروائي اليهودي البريطاني " آرثر كستلر" كتابه الوعد والتجسيد ، فلسطين 1917 ــ 1949 (1) الذي تنبأ وسطر فيه التطورات التاريخية التي قادت لقيام الدولة ، واصفا أنماط الحياة والمستقبل "الإسرائيلي" وفي النهاية أيضا حاول التكهن بمستقبل المجتمع الجديد الذي يتشكل في دولة اليهود .

فقد كتب كستلر " من الصعب التكهن بأي اتجاه ستتطور هذه الحضارة العبرية ، على الرغم من أن أمراً واحداً جد فقط خلال جيل أوجيلَين ، ستقيم دولة "إسرائيل" دولة غير يهودية بالكامل .. في تلك اللحظة قرر كستلر سنة 1949 بأن الشباب من مواليد دولة "إسرائيل" سيكونون مغايرين تماماً ليهود الشتات ــ وعلى نقيض ذلك سيكبر ويتعزز من جيل حتى تنتج هوية وثقافة عبرية ستكون غريبة بالكامل عن واقع الثقافة اليهودية .(**2**)

بالإضافة لذلك ، وقبل ثلاثين سنة ، تكهن عالم الاجتماع الأمريكي المعروف " تورستاين وبلن ، مناقضاً سابقاً بشأن مصير ومستقبل المجتمع اليهودي المفترض الذي يطلب الصهاينة إقامته في فلسطين ، وفق ما يراه " وبلن " إذا ما أتيح للصهاينة أن يجسدوا مطالبهم في يوم ما ويعود اليهود ويقيموا على أرضهم القديمة سيغيرون كثيراً من نظرتهم العالمية كثيراً من العالمية الواسعة وسيحضرون في موردهم الخاص تعاليم ذات طابع تلمودي . أبناء الشعب اليهودي لن يتطبعوا من جديد بطابع الثقافة الأوربية الحديثة ، ولذا سيقومون من جانبهم بتعطيل كل الشروط الإيجابية التي شجعتهم على التوحد كشعب مختار للتوجه للخارج وللخلاص من الغيبوبة الناتجة عن الثقافة الغربية المعاصرة . (**3**)

تلك التكهنات المضللة وجهت جيلنا ، من اليهود الذين يعيشون الآن في دولة "إسرائيل" : وفق كوستلر ، لن نكون بعد الآن يهوداً على الإطلاق ووفق وبلن " لن نكون يهودا أكثر من اللازم ، يهود نعم ، ولكن ليسوا بشراً ، "أبناء ثقافة " وفق كوستلر علينا أن نهتم فقط بالحاضر والمستقبل ، ووفق وبلن يتوجب علينا أن نهتم بالماضي والقديم . من منهما أصاب ؟ ومن منهما أخطأ ؟

الإجابة على ذلك مرهونة بمسألة .. أي قانون اجتماعي سنختاره في "إسرائيل" ؟ إلى أي مجموعة ثقافية وأيديولوجية سننضم ؟

نعم من جانب واحد في مركز تربوي واحد ، هناك كثيرون استجابوا بسرعة وساروا على طريق تحقيق نبوءة آرثر كستلر ، مهما يكن .. استجبنا لدعوة معروفة بشكل كامل من المعرفة التاريخية اليهودية ..

ونحن لا نتكلم هنا عن مسألة الإيمان الديني أو على الواجبات التي تفرضها الشريعة اليهودية ، و إنما على نفس الهوية الثقافية والعقلية الجماعية ــ بينما من جانب ثان في مركز الاستقطاب المضاد فهناك الكثيرون المتشجعون قدر إمكاناتهم لتجسيد النبوءة المضادة .

إنهم يظهرون قطيعة تامة وغربة قاطعة مع كل ما هو خارجي غربي عالمي معاصر بما في ذلك أيضا تجاه الصهيونية في الثورة الوطنية المعاصرة للشعب اليهودي . (**4**)

شرحا لذلك في سياقه ، قبل سنوات معدودة نشرت جريدة "يديعوت أحرنوت" مقابلة هامة مع مخبز فطاير في "تل أبيب" مع بداية عيد الفصح . حيث ادعى الشخص في نفس المقابلة ، بأنه منذ سنة انخفضت تدريجياً مبيعات خبز الفطير بمعدل 2% التي يبيعها هو ونظراؤه في كل البلاد بمناسبة العيد . ولقد طرح تعليلاً مبدئياً من جهته لهذه الظاهرة 1% من الانخفاض ، كما قال الخباز يعود

للمتزوجين الجدد العلمانيين ، مثل هؤلاء الذين نشأؤا في بيت والديهم اعتادوا تناول الفطائر في عيد الفصح ، ما كان ليس تحت تأثير الواجب الديني وإنما كواجب انعكاسا لثقافة وهوية قومية ـــ رغم أن الأزواج الشابة غير مضطرين لمثل هذا السلوك في بيوقم الجديدة .

هذا الانخفاض يعود كما قال الشخص فجأة من قبل الأزواج الشابة المتدينين ، وهؤلاء الذين اعتادوا في بيوت آبائهم على فطـــائر عادية ، المخبوزة بالآلة ، ولكن الأبناء والبنات لا يأكلون في بيوقم إلا الفطائر التقليدية المخبوزة باليد طيلة فترة العيد ، وهكذا كما قال .. نكون نحن الخبازين واقعين تحت الضغط من هنا ومن هناك ..!!

أيضا إذا ما شككنا في صحة الإحصائيات المعطاة هذه فإن لدينا نظرة دراسية في ديناميكية الثقافة السائدة في "إســـرائيل" . مـــن الموضوع إلى دلالاته ، فحتى قبل سنتين أو ثلاثة وجد محاضروا العلوم اليهودية في الجامعات "الإسرائيلية" أنفسهم في نفس الموقـــف الذي يقفه خبازو الفطير . لقد أكرهوا لمواجهة مسار متواصل للهبوط في عدد الطلبة الذين اختاروا .. التعلم في الدائرة المـــذكورة ، التلمود والفكر "الإسرائيلي" ، ميلاد دولة "إسرائيل "، الأدب العبري وغيرها . ورغم ضمورها في المرحلة الأخيرة (**5**) إلا أنها أظهرت كما يبدو نفس التوجهات الواردة أعلاه مما يدفعنا للقول : إذا كان في الماضي ، قبل عشرين أو ثلاثين عاماً وجد طلبة علمانيون ليسوا قليلين طلبوا تعلم تاريخ شعبهم ، نشأته وتوجهاته ورأيه ، ولكن بعد ذلك حل في أوساط عديد من رفاقهم ابتعاد واضح عن المصادر اليهودية ( أحيانا برز في أوساط هذا الجمهور خوف من هذه المصادر ـــ لئلا يقوموا عليها هم ووكلاؤهم في هذا المجتمع وينتزعوا منا حريتهم السياسية أو الروحانية ) يضاف أيضا انتشار مسار محدود في الاتجاه الآخر .. للقول . شباب متدينون كثر كهؤلاء الـــذين طلبوا في الماضي تعلم مصادر ومقومات "إسرائيل" حتى في المؤسسات الأكاديمية توجهوا بعد ذلك وأخـــيراً للجامعـــات واختـــاروا التخصص فقط بالتعليم في المدارس الدينية وهكذا تقلص حجم الصفوف من الجانبين .

هذا الاستقطاب الحالي ليس جديداً ، لقد رافق وجود الفلسفة "الإسرائيلية" منذ أيامها الأولى وعلى الرغم من أنه انتشر في الماضي في " أعلى " هوامش المجتمع وفي الطرق الجانبية ، إلا أنه اليوم يهدد بالزحف نحو الداخل أحياناً ، واحتلال القلب منه ولتحديد جدول للأعمال الثقافي والسياسي ، وفي المرحلة الأخيرة ظهر أيضا بان النظم والقوانين والاتفاقيات الجماهيرية التي كانت ناجعـــة ومقبولـــة خلال الجيل ذاك لم تعد مجدية و لم تعد مقبولة حتى على الطرفين في نفس الوقت ومعا .

وهل يمكن أن نرى بهذا مفاجأة ؟ إنني لا اعتقد ذلك ، ومع ذلك فقبل أن أحاول اختبار المسارات التي أدت إلى هذه الظواهر مـــن الضروري أن أذكر بالصراع الداخلي الذي يميز مستقبل "إسرائيل" أو ما قيل : إن الثواني التي وقفت في موضع التأســـيس للعامـــل الصهيوني والفكر الصهيوني ، فعلا من وجهة نظري ، إن عمليات الاستقطاب المذكورة هنا تكشف بشكل واضح عدم جاهزية قسم من "الإسرائيليين" لتفضيل الحياة داخل صراع كهذا . رغبتهم الظاهرة أو السرية لتمثيل قناعة واضحة وأحادية البعد ". بين الماضـــي والمستقبل ، بين الطبيعة وبين التفرد اليهودي ، بين الحياة في وطن وبين الحياة في الأرض المقدسة .

# مهرب من الصراع

الصهيونية وحدت في داخلها خطوط تمايز متألقة لحركة ثورية (**6**) مع خطوط تمايز لامعة لحركة رجعية نهضوية ، و في كل واحد من هذين المظهرين كشفت ما بداخلها من برامج متطرفة سواء في الثورة أو في العودة ( التوبة ) .

فمن ناحية الصهيونية جاءت لخلق تبديل شامل في حياة الشعب والإنسان تصل بعيدا وتتعمق بعيدا مما طلبته ثورات حديثة أخرى ، راقبوا مثلا الثورة الفرنسية أو حتى الثورة الشيوعية لمن توجه هناك الثوار وأية تغيرات تلك التي خلقوها ، لقد توجهوا إلى شـــعوب

محافظة والذين تحدثوا بلغات محافظة والذين عاشوا في مناطق جغرافية أو ثقافية محددة وهم الثوريون الذين خلقوا من أجل تغيير ظواهر محددة للواقع الثقافي كنظام الحكم السياسي أو النظام الاقتصادي .

لقد كانت هذه التغيرات حاسمة . في أحداث كثيرة حيث رسموا لهم دور رافعة للنهضة ، ورغم أنه تم تطبيقها على مناطق محــددة للحركة الصهيونية ، فلقد لجأت الأخيرة لتشكيل ثورة شاملة ، وبحدها الأدنى شمولية في واقعها القومي والإنساني ، فقد كان عليها أن تنقل أبناءها وبناتها من موطنهم ، من لغاتهم ، من عاداتهم ، ومن أشغالهم ، كان عليها أن تلوح فعلياً بكل الأعلام ، الاجتماعي الثقافي السياسي القضائي والقانوني و الاقتصادي وملاحقة الظروف التاريخية التي عملت بها الصهيونية ، ولقد واجهت صعوبة في إنجاز ذلك من خلال تواصل مع الماضي الواقعي ، هكذا مثلا في الحقل السياسي ، فهي لم تضطر فقط لتغيير النظام السياسي أو للتحرر من سيادة نظام غريب كما فعلت حركات أخرى ، لقد كان عليها بعد سنة 1900م ، لقد كان عليها أن تشكل لنفسها هيكلاً سياسياً جديداً ، من العدم ، دون سياسة يهودية سيادية سلطوية .

لقد كان هذا هو الطابع الثوري الشامل ، وليس كل مواطن وصل إليها ثائراً واضحا في نمط حياته الدينية وبأســاليب الــتفكير الأخلاقية (**7**) ولكن من جانب ثان فالصهيونية هي في جميع الأحوال أيضا حركة نهضة وتجديد الأيام كما كان في الماضي .

الحاضر يقول : على خلاف من الثورات الحديثة الأخيرة ، والتي وجهت كل شعاراتها ـــ أساطيرها ووقائعها ـــ استجابة لمتطلبات الغد فإنها الصهيونية ، التي حصلت على شعاراتها الأساسية ليس صدفة من الماضي ، لقد بنت أساطيرها ووقائعها الراديكالي ليس فقط بموجب صور لمستقبل خيالي ، وإنما في المقدمة منها وفق الأسس التي تم الحفاظ عليها في ذاكرة التاريخ الجماعي ، أعــلام قديمــة ، لهجات قديمة ، ملك ، بطل ديني ، إنها تصور كُنْهَهُم لينطلق إلى الأمام للقيام بثورة راديكالية ولكنه هنا عاد على عقبيه لكي يــدور على نفسه .

حقيقة الصهيونية وفق هذا الفهم تشبه حركات وطنية أخرى كثيرة ، والتي تحتاج هي الأخرى إلى ذكريات تاريخية ولشعارات توراتية من أجل التأسيس لوعي قومي جماعي ، أيضا حين تتوجه الصهيونية إلى شعارات من أجل التأسيس لاعتراف قومي حديث فإنهــا لا تتميز بهذا عن كونها الحركة القومية الفلانية التشيكية أو الايرلندية ، وفي الواقع ، لكثرة نظيراتهم في أوروبا . (**8**) ومع ذلك فمــا قامت الاتجاهات الثورية للصهيونية شاملة أكثر من غيرها من الثورات الأخرى ، أيضا ومن الاتجاه المعاكس ، التوبــة والنهضــة ، والذي هو أيضا حاد بالنسبة لها وملح أكثر من غيرها من الحركات المناظرة .

نعم الصهيونية وعلى خلاف من حركات بعثية أخرى نشطت في وسط شعب ربط بين أجزائه عبر أجيال كثيرة طويلة حاضــرة الديني والعرقي من جانب أول ، من جهة الدين ، ديانة "إسرائيل" هي الديانة الخاصة لشعب واحد ، كلما نحن مشــدودون داخــل أحاديث الأيام ( على العكس من آخر الأيام ) إلا أنها لم تطلب لنفسها بداية عامة ولكنها موجهة اهتماماتها لشعب معين مع الانتقاء من جانب ثان ..

من جهة الشعب : شعب "إسرائيل" لم يعرف بغالبية مواطنيه إلا ثقافة دينية و لم يشغل ذهنه إلا الطريق المنشود للمصادر الدينية . لقد أسس مضمون هويته الجماعية على أساس هويته الدينية ( شعبك شعبي وإلهك ألهي ) (**9**) (ماض يخصني وأنت إله السماوات كمــا أراك ) (**10**) هكذا ملابسه .. ثقافته.. لغته .. أرضه وتقاليده الاجتماعية كلها تضرب جذورها إما في الدين أو في العرق (**11**) ، من الواضح أن حاضرا تاريخيا كهذا ، كل محاول لبحث قيم من الماضي ترفع من شأن شعبه فورا من جهة الادعاءات الدينية .

هكذا فالوعي الديني ، بقوته الذاتية هو ليست نتاجا من الماضي فقط كمصدر تاريخي وجودي وإنما تثبيتا للواجبات لقد تمسكت به بدور مصدر تتدفق منه إلى الوجود وأيضا معايير وتقاليد وليس فقط ذكريات .

من الممكن ضرب مثال بشكل جميل يوضح الثنائية بين أرض "إسرائيل" ولعبها دور وطن وبين أرض "إسرائيل" في دور الأرض المقدسة .

الوطن البيت يدعوان لإثارة داخلية ، فرضيات وسجايا . من شانها أن تكون وأن تغطي الوجوه . أما القدسية في المقابل توقظ الرغبة في النهضة والورع . إنه يتطلب منا مطلباً محدداً وبجانب الإنشداد والحنين فإنه يوقظ في قلوبنا الرهبة والنكوص ( رهبة مقدسة ، ورع النهضة ) .

الوطن هو ادعاء وطني صريح ، القدسية هي ادعاء ديني واضح أما البيت فهو شكل وجود أما القدسية فهي أمر ما ورائي " ميتافيزيقي " معياري .

مع قيام دولة "إسرائيل" أتحد كلاهما وسارا دائما هذا إلى جانب الآخر ــ مع ما تبدى من خلافات داخلية ومع الازدواجية المتمثلة بهذا الاقتران (**12**) وبعودة الصهيونية وإيقاظها من جديد الشوق العيني لأرض الميلاد في القلوب . ولقد أيقظت من غفوتها أيضا الأرض المقدسة ، والتي هي أيضا نهضت إبان ذلك و أوضحت دعواها .

لقد حكم أيضا لمصلحة العلاقة بين العبرية الحديثة وبين اللغة المقدسة (**13**) بين " دولة اليهود " التي دعا إليها هرتزل وبين نبوءة التحرر التقليدي أو حتى بين مدينة "تل أبيب" النابضة بالحياة وبين مدينة القدس وما ترمز إليه (**14**) لا داعي للعجب . إذ إن قسما من "الإسرائيليين" يحاولون اليوم التهرب من هذا الصراع الإيماني ، فهم يبحثون لأنفسهم عن حل واضح جزئي ، ولكن ليسوا جاهزين حتى الآن ، من على جانبي المتراس لبعث هذه الثقافة المزدوجة ، وانسجاما مع الحقيقة يتبدى هنا إجماع صامت ظاهريا . فجأة بين ممثلي المعسكرين الأكثر بعدا عن بعضهم .

نعم هؤلاء وهؤلاء أرثوذوكسيون متشددون وعلمانيون متشددون كلهم غارقون اليوم في صراع ويجدفون لترجيح قرارات انقسامية وأحادية البعد بين المستقبل والماضي ، هؤلاء وهؤلاء قلقون من المواجهة بين الحياة في أرض الوطن وبين الحياة في الأراضي المقدسة (**15**).

# التطبيع

مع أن التنافس الظاهر ، ليس تنافسا بين الإيمان والعلم أو بين البعد الديني والبعد القومي ، إلا أنه يتجسد أيضا داخل الفعل الصهيوني المعاصر نفسه ، داخل الثورة الوطنية بذاتها ، فكما هو معروف بان أحد الشعارات الحيوية أكثر من غيرها في المقال الصهيوني كان ( التطبيع للشعب اليهودي ) (**16**) للقول شعب طبيعي من شانه أن يعيش على أرضه ، وأن يتحدث بلغته وأن يكون مسئولا عن مصيره وأن يتحرر من عبوديته وأن يقيم في داخله مبنى اجتماعية سليما .

هكذا علمت الحركة القومية ، ومع ذلك أي حل تاريخي يتوجب على أبناء الشعب اليهودي عبوره من أجل تطبيق التطبيع المتوقع هذا ؟ إن عليهم الدخول في مسار مميز ( غير عادي ) حيث يوجد هنا شك بإمكانية إيجاد مثيل له و سيئ في ميلاد الشعوب .

أشرح ذلك بمثال هام من ميدان البحث ، في سنة 1911م نشر المؤرخ وخبير اللغة الكبير ثيودور نلدكه مقالاً نوعياً في " الموسوعة البريطانية " الذي خصص للغات السامية القديمة ، لقد تناول المقال اللغات القديمة مثل الأكادية والكنعانية والفينيقية وإلى جانبها خصص أيضا مقالاً خاصا للغة العبرية ولنشأتها منذ البداية وللآن . ومع أن الحال هو أن هذه الأيام هي أيام تفتح الحركة الصهيونية الحديثة . لقد وجد الكاتب نفسه أنه من الصواب الاستجابة للدعوة بأن يعلن الصهاينة في حينه لإحياء اللغة العبرية المكتوبة للغة محادثة يومية للشعب اليهودي وهكذا كتب (ندركه ) في حينه :حلم بعض الصهاينة بأن العبرية التي يجب أن تكون عبرية (**17**) والتي

تستخدم في الحديث سوف تعود ثانية لأن تكون معاشة ، لغة شعبية دارجة في فلسطين ما زالت دون التوقعات لتحويلها إلى واقع من خلال رؤيتهم لإقامة إمبراطورية يهودية في الأراضي المقدسة.(**18**)

ثيودور نولدكه يمثل هنا بحضوره توجه عالم موضوعي ، غير منحاز وهنا من وجهة نظر عالم كهذا ، إما الرغبة في تجديد اللغة العبرية أو الرغبة في إقامة دولة في أرض "إسرائيل" ، كلاهما معا تبدي في حينه أنهما غير منطقيان .

إن لم يكن ليس لهما فرصة على الإطلاق .. هل أصاب أم أخطأ ، من السهل الإجابة بأنه أخطأ استنادا إلى الوقائع ، ولكن مع ذلك يبدو أنه لم ينحرف في حديثه انحرافاً مبدئياً . متوقع حقا أن باحثاً من شأنه أن يتخلى عن كل التوقعات من هذا القبيل ، ولكن على كل حال ، لو أراد أن يتحمل المخاطرة بذلك وأن لا يذهب أسيراً خلف الأساطير أو الأوهام .

عليه تنظيم المناسبات والتوقعات وانتظار التطورات على ضوء المقدسات التي بين يديه . وفق الوقائع والتشابه التاريخي .

وهكذا نرى أن نولدكه لم يتمكن من إيجاد أي مقدمة للنهضة " للبعث " مثل اللغة المقدسة للتتحول إلى لغة الحديث أو لهجة جماعية كهذه إلى أرض الأجداد بعد نفي استمر لعشرات الأجيال .

منذ أيام نولدكه نشرت أبحاث غنية في هذا الموضوع المتعلق بإحياء الحديث العبري (**19**) . وحتى الآن لم توجد ظاهرة شبيهة لها بالكامل ، مثلا اللغة اليونانية الجديدة لا تشبه اللغة القديمة والقارئ اليوناني المعاصر يصعب عليه أن يقرأ بالأسلوب القديم بينما القارئ العبري المعاصر يقرأ اتفاقا ( بالصدفة ) كما أن التجربة الوطنية القومية التي جرت في أيرلندا للحديث باللغة الغالية لم تأت جميلة وهذه اللغة تمثل اليوم فقط في ترديد الأغاني (**20**) .

ما يمكن أن نستنتجه من هذا !! كما يقال ، العودة للأرض وإلى اللغة ( بالإعلان ) بالوعد الصهيوني في مرحلة العودة إلى القيم الوطنية .

القيم ذاتها تشكلت هنا كنموذج ونجحت بأهمية مبدئية ملائمة من جهتها . وعليه فما هو الواجب الذي على الصهيوني أن يقوم به لتطبيقها . إن عليه أن يشق مساراً تاريخيا ناشئا " حديثا " لم يسبق له مثيل .

ما اعتقد فيه عادياً وفنيا وطبيعيا في حياة شعوب أخرى ( أرض قومية ولغة حديث دارجة ) يتطلب هنا طاقة مميزة ويمر بالضرورة عبر مسار دراماتيكي تاريخي مميز(**21**) .

وكأننا بقولنا : التطبيع الوطني نقدم جثة محاطة كلها بالأحزان (**22**) كما ذكرت أعلاه ، فالقوى الاجتماعية الطاردة المركزية تتطلب في هذه الأيام بعد ترجيح فاصل في جميع هذه الأسئلة :

قديم أم جديد ، مقدس أم علماني ، خاص أم عام ، بحق العادات أم بحق التوحيد .( في موقع آخر تناولت بشكل أيضا عن التناقضات بين التاريخانية والمسيحية وبين التجزئة والتوحد ( **23**) .

إنهم يعودون ليتجسدوا أمامنا ، حيث أن الصهيونية شكلت من جديد صلاحيات الكهانة اليهودية بينما حركات مختلفة و أناس مختلفون يرغبون ببناء هذه السلطة بأساليب بديلة ومتناقضة وأخيراً نرى أيضا أن احتمال الصدامات الجدية التي كانت مغيبة ومدفونة على مدار سنوات يهدد الآن بالاندلاع خارجاً إلى الوعي الجماهيري وإلى صلاحيات رجال الدين ، هكذا مثلاً ينظر للمواجهة المحتملة بين صلاحيات المحاكم وبين الصلاحيات الشرعية لمجلس الكهنة اليهود .

هذا الصدام لم يتجدد الآن يكفينا المقارنة بين التنبؤات الصهيونية لهرتزل والذي وضع حدودا للكهنة داخل بيوت العبادة فقط وبين التنبؤات الصهيونية للحاخام كوك الذي أعادها إلى طاولة الهيئة التشريعية ( السنهدرين )* الكبيرة في القدس ورأى فيهم قضاة ومشرعين لشعب "إسرائيل" ( كما أن الحاخام كوك أسس مجلس الحاخامين الأول "لإسرائيل" 1921 والتي أعدت لتكون خطوة أولى وتحضيرية في هذا النشاط الديني (**24**) رغم أن الجميع اختار في الماضي تأجيل الصراع وتحييده قدر الإمكان ولكننا نجد

الآن أناسا يميلون لوضعه على حد السيف ( قوانين الدولة أم قوانين التوراة ) ولتنفيذ كل احتمالات المواجهة التي تجسدت بذلك ، إلى جانب المواجهة المتمثلة بين صلاحيات القائد العسكري وبين الأحكام الشرعية للحاخام والتي ظهرت ليس من وقت قريب على الرغم من أنه في الماضي كان المتحدثون باسم الصهيونية الدينية يبحثون عن طرق للحل ولتلطيف كل هذه الاحتقانات من خـــلال محاولة واضحة للعيش والتطور في كلا العامين بالإضافة إلى أنه في الفترة الأخيرة برز بينهم قادة يعرفون بشكل دقيق هذه

---

*السنهدرين : مجلس تشريعي لليهود مكون من لجنة مركزية من 71 عضوا من كبار الحاخامين ينتخبون من بينهم لجنة تنفيذية مـــن 23 عضوا

# الوضع الراهن

في ضوء كل ذلك ، هل حكم على المجتمع "الإسرائيلي" أن يبدأ حرباً ثقافية ، هل التركيبة الصهيونية تتجه بالضرورة نحـــو التحلـــل (**25**) كما يمكن أن نصيغ السؤال بطريقة أخرى : لماذا كانت هذه الحلول الاجتماعية مفيدة خلال عهد الجيل السابق ولكنها لم تعد مجدية بعد ، وهي مرفوضة الآن من قبل جماعات مختلفة في أوساط الشعب "الإسرائيلي" ؟

كما هو معروف ، بعد فترة من قيام الدولة تقرر طابع العلاقات السياسية المعلن بين المتدينين والعلمانيين(**26**) ليس فقط باتفـــاق سياسي طرح في تلك الأيام بين الأطراف و إنما ميثاق اجتماعي غير مكتوب تضمن كيف يمكن أن يعيش موحدا دونما اتفاق لاهوتي وعقائدي ، لقد ارتفع شأن هذا النظام في حينه ، رغم التعارضات الداخلية التي تضمنتها أو لما فوجئ به الناس عدا هذه التناقضات .

مثلاً : بوجب هذا النظام منعت المواصلات الجماهيرية في الباصات أيام السبت ( على الأقل في حيفا الحمراء ) رغم ذلك سمـــح بالحركة والتنقل في تكسيات العمومي وللسيارات الخاصة ، هذا الحل كان من الصعب الإيمان به في مرحلة متأخرة ليس على أساس الحكم التوراتي ولا على أساس اللبرالية العلمانية فلم يحقق أي شخص به رغباته كاملة و لم يخرج ثمرة تطبيقه أي شخص مهزوماً ولكن حال الخيبة الجزئي هذا ، وحال المتعة ( الجزئي ) هذان هما اللذان ضمنا سلامة الجزئية أيضا لهذا النظام .

أعرض هنا مثالاً آخر " وثيقة الاستقلال ( لدولة "إسرائيل" اختتمت بعبارة ) من خلال أيماننا بصلابة "إسرائيل" فها نحن نوقع .. الخ ) ما هو شكل "إسرائيل" الوارد في الوثيقة .. آلهة "إسرائيل" ، عبقرية اليهودي أو كل ما هو مفروض جيولوجياً .. نعـــم ، إن الجدل الذي دار حول صيغة وثيقة الاستقلال دفع من صاغوها لإيجاد صيغة غامضة استهدفت : كل شخص وتحليله ، كل معســـكر وفهمه ، أحد حجج المعرفة المعروفين من الذين يعيشون بيننا فقد شجب في حينه هذه الضبابية ووصفها وكأنها انتخابات . ولكن وفق فهمي لها أقول .. من هنا تنبع حسنة أو صلاحية الوثيقة حيث لبت أو حققت رغبة جميع المؤمنين وجميع الأحزاب . مثال ذلك :-

عن أي ( أمن ) يتحدثون في الوثيقة ؟ في الأخلاقيات الدينية هذا الأمن ينتج إيمانا بها . وضع ثقة إيجابية بمنقذ "إســـرائيل" (**27**) وربما بالعبرية الحديثة يشير في الأساس إلى قوة طبيعية وعسكرية . مرة ثانية الازدواجية هي التي سمحت لكل فرد أن يجد ، في هـــذا النص نفسه ، وأن يجد أمنه الذاتي وهنا ، في السنوات الأخيرة يتبدى عدم الاستقرار في كثير من هذه الحلول ومن هذه الشعارات ،

فالمرارة تتنامى وتتزايد عند كلا الجانبين ، وكثير من "الإسرائيليين" يدعون الآن لتغيير الاتفاق السياسي منذ قيامها أو لصياغة ميثاق اجتماعي جديد والذي يدفع باتجاه طرح هذا البديل ؟ من الواضح أنها مرتبطة بالتوراة المختلفة التي حلت بالمجتمع وبمكوناته المختلفة ، في الحقل السياسي والسكاني في الحقل الفكري والمعرفي لربما أيضا في الحقل الاقتصادي . تطورات هامة في المرحلة الأخيرة هددت بزيادة التوتر هي انه في أحداث ليست قليلة وقف هؤلاء في مواجهة أولئك ليس فقط متدينين ضد علماني وإنما أيضا يمين ديني ضد يسار علماني " هكذا أمكنت التغطية ، وأيضا مضاعفة ، للفرعين الأساسيين الذين ينقسم إليهما المجتمع : الفرع المعني بالحلول السلمية " والانسحاب من الأراضي والفرع الأيديولوجي المهتم بمسالة الدين والدولة من الممكن الإضافة ولتقسيم الأقسام إلى أقسام أصغر مختلفة ولكن رغبتي تمتد للتعقيب على ثلاثة فروع رئيسية أثرت خصوصا على الأفكار .

أولا) على الأقل مضى قرابة خمسين عاماً منذ طرح التوافقات الثقافية القديمة وبطريقة طبيعية جرت خلال هذه الفترة تغيرات عميقة في المخزون الثقافي "الإسرائيلي" .

ونتيجة لذلك ، وحيث لم يجد أي شخص في الإتقان المعروف أي من بصماته الاجتماعية والأيديولوجية ، وسأورد هنا مثالاً واحدا من كل جانب : اليهودي العلماني يقول ( وهو يجد هنا تأييداً لادعائه أيضا في أوساط الصهاينة المتدينين ) نعم ، تم الاتفاق في حينه على إعفاء أبناء المستوطنات ( القرى ) من الخدمة العسكرية لكن عن أي عدد من الشباب تم الحديث في حينه ؟؟!! المقل يقول 400 والمغالي يقول 900 حالياً ورغم ذلك ، الحل انحصر فقط في حدود أضعاف محدودة وهذا الرقم تنامى وكبر بمرور السنين . حيث لم يرد بخاطرنا في نهاية الأربعينات أن يأتي يوم يتحلل فيه غالبية أبناء قطاع اجتماعي كامل من الخدمة العسكرية على الإطلاق !! للأمانة ، الحل ينفذ اليوم أيضا قولاً وفعلاً ولكن مضمونه الفعلي ومفهومه وأثاره تغيروا دون الاعتراف بذلك .

ومن المدخل الآخر يقوم متشددون " أرثوذكسيين " وفي أفواههم ادعاء آخر حين وافقنا نحن في الماضي على إقامة السماح بمواصلات خاصة يوم السبت كما يدعوا هم : من "الإسرائيليين" من كان يمتلك سيارة خاصة ؟؟ لقلة قليلة من الناس فقط !! اعتقد أنه مسموحاً لنا في حينه أن نفترض أن الاتفاق يضمن قيام سلطة حاخامين متحلله ولا تتحمل عبء مواجهة حلول السبت بشكل مفاجئ على الأقل . ولم تتوقع أن يأتي يوم تصبح فيه السيارة الخاصة وسيلة مواصلات أساسية وقياسية : نعم أيضا من وجهة نظرهم فقد نشأت وجهات نظر عميقة بين الاتفاق المعروف وبين نتائجه الفعلية ، فهذا شخص يرى فقط ما خسره هو وأين انسحب معسكره وليس ما كسب وما شكل مرور الزمن : كل طرف يؤلمه ما حققه الخصم من أرباح مخالفا أحكام سلطة كبار الحاخامين .

ثانيا) آمل أن تتاح لي الفرصة للادعاء بأن الوفاق السياسي والاجتماعي الذي تجسد في الماضي قد قام على أساس خاطئ ، على قاسم مشترك أعظم لكلا الطرفين ، كلاهما افترضاً متجاهلاً ، كل واحد وحجته معه ، بأن المعسكر النقيض يمثل ظاهرة تاريخية مغايرة ، هؤلاء وهؤلاء متدينون وعلمانيون ، أتقياء ومناهضون للصهيونية لكنهم خمنوا في تلك اللحظة أن الآخرين سيفقدون بعض قوتهم وأن ينخفض عددهم وفي نهاية المر ربما أيضا يغيبوا عن العين ، هكذا قدر في حينه بن غوريون وتلامذته العلمانيون وهكذا آمن الحاخام ملوبوفتش ومؤيدوه الورعون وهكذا فسر الأمر الحاخام الأكبر كوك وتلامذته الصهاينة ، لقد ظلت هذه النتائج هي المنتظرة على المدى الطويل ولكن كان فيها ما يكفي لعقد أي اتفاق تعبيرا عن تكتيك مؤقت وليس كإستراتيجية وموافقة مبدئية .

من وجهة نظر الأوائل .. القادة العلمانيين ، المستقبل غير مشرق بالنسبة لعالم الأرثوذكسية القديمة .. أبناء هذا العالم ، اليهود المتمسكون بالشريعة شباب المدارس الدينية التقاة أو المعارضون ، عليهم جميعاً الابتعاد جانباً من طريق التطبيع لهذا الشعب على أرضه ، بكل تأكيد كان عليهم مسئولية الحفاظ على المكشوف ، ليس فقط ، إن التشابه بين أبنائهم وأحفادهم سيقوم كله بموجب أحكام اليهودي الجديد على أرض وطنه القومي (**28**) وحتى يتم ذلك من الحكمة الوصول إلى حل مع ممثلي الزمن الماضي هؤلاء . وربما أيضا للكشف تجاههم عن وحدة الشوق إلى الماضي من الجانب الثاني ، ما الذي آمن به ممثلو الطرف الثاني الأرثوذكسي ، فيما يتعلق

بالمتدينين في أوساطهم ، واضح من وجهة نظرهم أن اليهود العلمانيين " إن هم إلا شيء يحمل بعدا تمثيليا وعليه فإن هم إلا حـــدث طارئ من ناحية تاريخية . حيث بعضهم يصلي وقسم منهم يتوب بدوره ولا يجب النظر إليهم كظاهرة أبدية (**29**) .

فالصهاينة المتدينون من أتباع الحاخام " لوك " آمنوا بذلك وفق طريقتهم للحقيقة (**30**) ، لقد قالوا : إن الصهيوني العلماني يعلن عن نفسه أنه متمرد في بيت الآباء والأجداد وتخلى عن إيمانه الديني .. فكيف يسلك ويعمل ويوصف بأنه عملياً ؟!.

لقد عاد من أرض المنفى إلى الأراضي المقدسة ، لقد عاد عن اللغة الغربية إلى اللغة المقدسة وهو يتخلى عن الرغبة في الصلاة في المعابد "الإسرائيلية" من الضرورة الإيمان على كل حال ، إنه في اليوم الذي يحقق هذا اليهودي أهدافه الوطنية والسياسية فسيسعى أيضا للتوبة العميقة جدا .. الروحية والدينية ومن لا يظهر حبا وطول نفس تجاه أبنائه وبناته الذين عادوا بفعالية وهم يقومون حاليا بواجبهم بدور حيوي في نهضة "إسرائيل" .

وفق فهمي أعتقد أن هذا هو أحد الأسباب الأساسية التي أدت في مرحلة قيام الدولة إلى فشل الجهود لوضع دستور في "إســـرائيل" ، القانون الذي يعمل به في "إسرائيل" على مدى الأيام من شأنه خدمة و إنجاح المواقف القائمة حالياً والعلاقات القائمة بين القوى .. وعليه فان كل طرف يفضل الحفاظ والتمسك بمستقبل افضل ، أكثر أمنا ، والذي ممن خلاله يمكنه أن يسن له قانونا يتلاءم مع روحه وقلبه ، وحتى ذلك اليوم عليه الاكتفاء بما يهبه أباه الوضع الراهن جزئيا ويرتضي بالوفاق الاجتماعي الوطني .

على الرغم من أن جميع هذه الأماني المتفائلة ترفض التحول إلى واقع في هذا الوقت فإن القليل منها اختفت أو يقامر بشكله الديني أو العلماني وهو يكابر للظهور بملامحه كظاهرة ثابتة ، مستقرة لا غنى عنها لها نواصل وسيكون أبناء وبنات ، الآن يعرف الجميع أيضا أن الآخرين قد أنجزوا أمر إقامة الكيان في هذه البلاد ولتزهر وتتكاثر فيها .

وهذا كما يبدو عامل هام وبراق لإنجازه إذا كان من السهل في الماضي الكشف عن الصبر والتضامن تجاه من حسبوا من وجهة نظرنا كمشابهين " أشباه لنا ( على الأقل في التطلعات والأماني ) إلا أنه حالياً مطلوب منا التوجه هكذا تجاه من يميل للحفاظ على هويتـــه وغربته لهذا الغرض مطلوب الآن قبول واستكمال من نوع آخر ، لم تكن مطلوبة في الماضي .

يهود الشتات متحللون من هذه الواجبات اليهودي المتدين من وليام سبورغ لا يلتقي يهودي إصلاحي من مانهاتن لا في المعبد ولا في الهيكل ولا يكون هذا اللقاء صدفيا بين أمريكيين . وليس بين يهوديين .

رغم ذلك ، الصهيونية السياسية جمعت كل هؤلاء اليهود وجمعت من أطراف بعيدة مثل الحجارة ، كما أنها أسست لهم ســـلطة حاخامين مشتركة . فطالما يظلل أحدهما الآخر في زمن غير زمانهم أو يقوم بدور حادث عرضي في التاريخ فإن اللقاء الفجائي تنطبع بطابع لحظة اللقاء بالتأكيد من خلال الحزن والألم ...ولكنها تمت .

## ساحة القرار :

### ميدان

الانتقاد الذي برز في السنوات الخيرة على " الوضع الراهن " وعلى الاتفاق الاجتماعي القديم ، ارتبط أيضا بتغير آخر " ثالث " حدث واقعيا وفي الوعي توجهي هو ، كل العمليات التي يشارك فيها شرائح اجتماعية كانت مهشمة ( مشرقيون ، متدينون ، التحريفيون ) تحدركو تدريجياً إلى المركز والتيارات الرئيسية التي اعترضت على الصهيونية السياسية ( الإصلاحيون ، والمتدينون ) امتزجوا واندمجوا في مشاغل الدولة الصهيونية ـــ ونتيجة لذلك فإن دولة اليهود تتحول الآن أكثر فأكثر إلى ساحة للجدل حول الهوية اليهودية بنـــت الساعة وتقوم ببدور أقل بكثير كتعبير عن نجاح وجهة نظر واحدة وهوية واحدة .

كان من الممكن الإشارة على النموذج الوحيد السائد "للإسرائيلي" الأصيل في "إسرائيل" التي قامت 1948 م لقد كان من السهل تلمس خطوط واضحة جدا في تلك الأيام تسهل للناظر تقدر بزمن هو الشريك في مستقبل "إسرائيل" الجماعي ومن هو المبتعد أو الخارج عنها . من هو الذي يقف في مركزها ومن هو الذي يقف في الهامش ، الصراع على الهوية "الإسرائيلية" وليتأمل صناعيا كما يريد ، لقد كان صراعا على السلوك والطابع على نقطة السيطرة وواقع الجماعة التي فقدت هويتها الأوربية واليهودية ، لقد كتب جرشون شيكد منذ سنوات : يوجد مكان "لإسرائيلي متدين ولإسرائيلي شرقي ولإسرائيلي غربي" ( كما ورد في الأصل ) وبإمكان "إسرائيليي مغربي" أن يسكن جار "لإسرائيلي متهود " ما دام لديهم هوية مشتركة وليس هناك ما هو أكثر أهمية لمجتمع متعدد المصادر البشرية كمجتمعات من تعددية اجتماعية على شرط أن يتوفر محور ، نقطة خروج أو نهاية ونقطة تملك مشتركة ، وأنا جئت لأعيد وأقول بصلاحيات المحور "الإسرائيلي" الذي ضاع ، من الواجب العودة والبحث عنه ، بوجد احتمال لقيام مرض "إسرائيلي" .. بلا إحساس "بالإسرائيلية" من الصعب أن تكون "إسرائيلياً" .

هذه هي المشكلة حيث المحور الجامع هذا يبني غالبيته أو كله وفق وصفة أو صورة مجموعة مختارة "إسرائيلية" واحدة بينما مجموعات أخرى شرقيين متدينين ، تحريفيين خيروا من حيث المبدأ وفق ملاءمتهم للصورة المطلوبة هذه ــ فقط في مرحلة متأخرة جدا تحركت هذه المجموعات إلى صدر المسرح حين انتقدوا بشكل جلي على النموذج المتفرد الوحيد وعلى الصفوة المسيطرة وبعد ذلك قفزوا إلى مركز الثقافة الشعبية والقوة السائدة . لاشك أن هذا الانتقاد على هذه السيادة لليهودي الجديد ، يتطلب الآن دفع ثمنه بعد ولد مواجهات وصراعات ويهدد بتمزيق صورة "الإسرائيلي" ، على الرغم من أنه كلما بدا أن هذا الثمن غال أحياناً إلا أنه أيضا يجسد بحضوره حلا لتحرر اجتماعي وجماعية ثقافية ، إنه ليهب ( وطن ) قائم لمجتمعات أخرى ويقيم لهم بؤر جديدة للتضامن المجتمعي .

هذا وأكثر : هذا الحل المقحم ( الضمني ) لم يقفز عن تيارات يهودية كانوا معادين للحركة الصهيونية في بدايتها ولكنهم مع الأيام اندمجوا عمليا في مشغلها التاريخي .

وهؤلاء يقع في أوساط الفئات التي اختارت في الماضي بإرادتها الوقوف في الماضي في جوانب المختبر " المشغل القومي أو حتى خارجه ، أشرح ذلك من خلال الجدل والنقاش الدائر حول مسألة قانون " من هو اليهودي " من هما الطرفان اللذان يبرعمان في النقاش الحاد والذي أسقط أكثر من حكومة في "إسرائيل" ؟! وفي طليعتها القيادة الدينية ( برئاسة المرحوم ميلوبوفتش ) من جانب واحد ، والقيادة الدينية الإصلاحية من جانب ثان . وعلى ما يبدو ليس في هذا ما يدهش ، حيث أن الجدل تخلى عمليا عن القضية ، بأية صورة سينضموا للشعب اليهودي ؟! حيث تحولت القضية بيد من توضع الصلاحيات للتهويد للديانة اليهودية وبشكل أكثر دقة ، من هو الحاخام " رجل الدين اليهودي " وهذه هي كما يبدو المسألة التي تغضب بالأساس رؤساء التيارات اليهودية المتنازعون في أمريكا الشمالية اللذين يعيرون الآن أهمية كبيرة للمسألة ، من هو المعترف به كصلاحيات دينية من قبل دولة "إسرائيل" من قبل مواطنيها أو من قبل مؤسساتها وقوانينها .

وهنا .. من كانوا العداء الدينيين الأصلب للصهيونية في أيامها الأولى ، عادوا كانوا هم قادة الأرثوذكس المتدينين وقادة اليهودية الإصلاحية .. الأوائل " المتدينون " واجهوا الصهيونية بغضب عارم بنظرهم لها كحركة علمانية متمردة .. مناهضة للدين وهؤلاء الآخرين ( الإصلاحيين ) خرجوا ضدها بحدة من خلال تقديرهم لها كردة فعل قومية تتنكر للهوية الجماعية لليهودية ، مثلاً .. ما هو توقع الرئيس شالوم دوبعر شنيرزون ميلوبوفتش عددها الأكبر للصهيونية مع مطلع القرن .

ليأتي يوم لتنسب له حركته أهمية مقررة لقوانين الدولة الصهيونية لاعتراف هذه الدولة بالحاخامين و المتهودين ــ دون شك كان سيرتجف ويغضب من الأمر ما له وللثمار السياسية للثورة الصهيونية ؟! سوى أنه ليس أقل من ذلك سيكون الآن غضب ورعشة القيادة الإصلاحية أيضا لو كانت علمت أنه سيأتي يوم سيناضل فيه حاخاموها بشدة وبعصبية لأن دولة الأمة اليهودية تعترف

بصلاحياقم الدينية من اجل أن تعارض أو تعادي قوانينها ومؤسساقا لهذه الدولة لطقوس التهويد ، الزواج والطلاق من جهة اليهودية الإصلاحية .

علاوة على ذلك ، فإن هذا الصراع تخلى الآن أيضا عن هوية الدولة اليهودية ذاقا . لأقول : إن الحركتين اللتين حاربتا في حينه الصهيونية السياسية تتصارعان الآن بمرارة ، حول مسألة : ما هي ملامح دولة "إسرائيل" وماذا استقر في مسألة الهوية اليهودية والصلاحيات الدينية .. هل علينا أن نرى بصراعهم هذا تعبيرا عن فشل أو عن نجاح تاريخي مثير للصهيونية وللدولة .

للحقيقة نزع الأباء المؤسسون للدولة لإبرازها بدور نجاح لرؤيا يهودية واحدة على أعدائها ، بدور رجحان قاطع في النقاش على مستقبل الشعب ما دامت "إسرائيل" كما تبدو اليوم تحولت لساحة الصراع نفسه . لقد جرت لداخلها بالتدريج الحركات والأحزاب المختلفة وهم يتجادلون الآن عليها ومن داخلها . مرة ثانية من الخطأ إخفاء أن هناك ثمنا لهذه المضامين ، هذا هو ربما الثمن الغالي جدا سيدفعه كل من يرى الصهيونية كحركة نهوض وبعث للصهاينة أو كحركة تطبيع "للإسرائيليين" ولكنه ليس ثمنا غاليا لكل من يراها كحركة بعث للشعب اليهودي الحقيقي .

في حقيقة الأمر غالبية الصراعات الداخلية التي انتشرت داخل اليهودية عبر الأجيال جلبت الآن لدولة "إسرائيل" وهي تنتشر في أوساط المجتمع الذي يتشكل بداخلها ، الصهيونية لم تنتج هذا الانقسام ، في نفس الوقت بنظرة تاريخية يمكن عرض الصهيونية مباشرة بدور استنتاج أو استخلاص استخلص من هذا الانقسام ، حيث إنه حتى قبل عدة أجيال كان بإمكان الشعب اليهودي أن يتكون كشعب واحد أيضا دون أن يتجمع على أرض معينة ودون أن يقيم قاعدة السياسية " طاولة قيم " ونظام الصلاة وهبوه المحور الجامع بعكس ما جرى في الأجيال المتأخرة عندما تدور محاور الانقسام فجأة على أساس الشريعة اليهودية والإيمان اليهودي ، وفق هذا الفهم أصبح بالإمكان تفسير العمل الصهيوني كما هو ، على الأقل يائس لإقامة من جديد ، قاعدة مشتركة حول التصور الواقعي التاريخي والسياسي لإقامة مركز وطني وكياني من جديد ، رغم الانقسام العقائدي النظري ، والفجوات الأيديولوجية ولكن إذا ما تبينا وجهة النظر هذه ن إلا أن التجربة التي قام بها جيل المؤسسين لبناء هوية وثقافة المجتمع الجديد وفق نموذج غالب واحد ، حمل بداخله ضربة داخلية ، إنه موضوع بالأساس لإنتاج كارثة ، وعلى الرغم من ذلك وبالذات الحلول الاجتماعية والسياسية التي أنتجت شعبية وماهية " مسطحات مخيطة هي التي جمعت التفكير الداخلي السليم للنهضة الصهيونية ولورطة الوجود اليهودي في وقتنا الحاضر 39 كيف يمكن الانتقال من حالة الوضوح في اللحظة المعاصرة . حينما نظمت من جديد الحلبة الشعبية اليهودية في أرض "إسرائيل" !! كما نظمت معها ساحة المواجهة وفي أحيان أخرى أيضا ساحة الغلبة . خارج البلاد هناك إمكانية ، على الأقل ليست محدودة للفردائية والجماعية اليهودية . كل عائلة وطائفة بإمكانها ، أن تنصب لنفسها خيمة وفن ما تتيح لها الظروف لمنع حصول اللقاء المتبادل ، نعم بالإمكان أيضا ، هناك منع الصدام المتبادل ، بالإضافة أيضا إلى ضرورة القرارات الجماهيرية ، القانونية والسياسية ، وليس هنا في دولة "إسرائيل" حيث المطلوب فيها قرارات عملية كهذه كل يوم بيومه ، ولهذا تجب الموافقة على عناصر المحادثات وعلى عناصر القرارات وليس على الإيمان ونمط الحياة من الواجب تغذية " لغة واحدة " وليس فقط أشياء محددة يقالوا فيها ، يكفي تشجيع التضامن والأخوة بمستوى الكيان ( وحدة المصير ) 40 وليس بالضرورة بالمستوى العقائدي واللاهوتي النظري ( وحدة المستقبل والهدف ) .

## الخاتمة

في دقة الموقف هذه كتبت عن الجماعات ، عن الأحزاب والمعسكرات من كلا جانبي المتراس ، كما هو مفهوم ، من الصعب أن نرى بذلك صورة شاملة للهيكل الاجتماعي المعقد في "إسرائيل" إلا للأطراف المحتملة لمعركة الثقافة ، لأن الأبحاث الكثيرة التي خصصت لهذا الغرض تعلن عن قيام استمرارية تدريجية بين المتناقضات ونصحب إنساني يتجه من طرف إلى آخر . الاستطلاعات تلطف بشكل

كبير الصورة المجزأة حقا يمكن الاستنتاج من ذلك ، كما استنتج فعلا باحثوا مركز جوقمان للأبحاث الاجتماعية ( لسنة .......) حيث : ليس هناك من أساس للبلاغة التي تستقطب المجتمع "الإسرائيلي" لمتدينين وعلمانيين ؟ إذا كما تبين من بحثهم الواسع والمعتمد .. يقع ضغط من المتزمتين المحافظين على الشريعة وحتى الكل لا يحافظون على الشريعة ولا يوجد فصل واضح بين الأقلية الدينية والأغلبية العلمانية 41 .

لا أختلف في أمانة هذه الاستنتاجات ، ولكني أطلب تصنيف التحليلات المتفائلة التي وصفت بها جفا ، استقطاب وغربة ينتجوا فقط حين ينقسم الجمهور بشكل لا عودة عنه لمعسكرين ؟! أليس من الدقة أن تحدث قطعية اجتماعية وثقافية رغم وجود استمرارية تدريجية بين الجماعات ، ورغم وجود أناس وسطيين ومجموعات وسطية ؟ مثلا :- رجل هندي يتجول في أرضه مئات الكيلومترات ، فيفحص ويدقق بالتغيرات المحددة في تطور الكلمات المتحدث بها ، إذا ما واصل حركته على طول سيسمع كلمات كثيرة ستكون غريبة على مسامعه ، وإذا ما واصل وابتعد عن مكانه من يرموقت طويل حتى لا يفهم بالقطع لغة أبناء شعبه رغم التوصل اللغوي ورغم التدرج الذي عبره من قرية إلى أخرى .

لكلمات أخرى : الاستقطاب المجتمعي ليس مرتبطا فقط بالقفزات الحسابية الفجوة التي قامت بين الأطراف المتباعدة . على فرض أن هذه الأطراف تمثل مجموعات هامة من ناحية ثقافية ـــ ليس من السهل حقا ، حتى لو اتضح فجأة أن هذه الأطراف هم الذين يمثلون الصفوة القيادية ، والذين هم فعلا أصحاب الفكرة العليا والسيطرة الأخلاقية والحماس الأيديولوجي " العقيدي " ( باتجاهات متناقضة ) الذي ينشط في أوساط المجتمع "الإسرائيلي" . هيا نتفحص الأرقام الواردة من الأبحاث الاجتماعية . أن حوالي ربع اليهود يصرحون بحرصهم على الحفاظ على تقاليد السبت بدافع شرعي " ديني " 42 وعلى تأدية الصلوات كل صباح ( الرجال ) وأن أكثر من ثلاثة أرباع منهم يشهدون على أنفسهم بأنهم يصومون في يوم الغفران 43 ولشدة المفاجأة 56% منهم يعلنون بأنهم يؤمنون بالكامل والآخرين بالأمر ).. مقبوله طبعا صورة الأرثوذكس المتدين هذا والأرثوذكس العلماني من ذاك كل واحدة منها تحمل طابعا مشابها أقل أو أكثر 20% إلى 25% على الرغم من غالبية الجماهير موجود على بعد وبمظهر بدرجات متباينة من الاقتراب والبعد عن الإطلاق وعن الإيمان الديني .

لكن رغم انطباعاتي ، الأغلبية الحاسمة وغالبية منشآتها الوجود "الإسرائيلي" في حقل الأدب وعلم التوراة والإيمان والخبراء في القانون الدولي جاءوا بشكل ظاهر طبعا من أصول أرثوذكسية من الطرفين وليس من الجماعات الوسطية على أحد الأصعدة ظهرت روايات توراتية بكميات لم يسبق لها مثيل منذ قيام "إسرائيل" وعلى الصعيد الثاني تفتح نتاج عبري هام بشكل مماثل ( ولقد تفتحت أخيرا أربع مرشحين لجائزة نوبل للآداب ) . إن علينا أن نفرق فعلا بين المستوى الوجودي وبين المستوى المتعلق بحياة الروح والنشأة على المستوى الأول بإمعان النظر في ملموسات حياة الفرد ، يوجد حقا نقاط هامة يمكن من خلالها التغلب على الفجوة التي نشأت بين المعسكرات الجماعات الوسطية ساهمت هنا دون شك مساهمة ترطيبية . ولكن ليس في هذا ما يكفي للتخفيف من حدة الاستقطاب الثقافي والفكري على المستوى الثاني وليس بسيطاً فعلاً ، الاستقطاب السياسي هنا المطلوب ، أن على النخبتين الأرثوذكسيتين نفسهما تمثل التغيرات وأن يسلموا مع الأخريات ( داخل وحدة المصير " الواحدة " ) في هذا الكتاب من أوراق الموقف حاولت وصف بعض الخطوات التي تتيح ذلك 44 .

**ملاحظات**

1) الوعد والتجسيد ـــ فلسطين 1917 ـــ 1949 . أدمر كوستلر ـــ لندن 1949 ص330 ـــ 331 .

2) أنظر أيضا : نهاية الشعب اليهودي ــ باريس سنة 1965 صلى الله عليه وسلم 27 ــ 38 و صلى الله عليه وسلم 295 ــ 338 بالفرنسية وكتاب بالعبرية .." هل لا زلنا يهودا " إصدار "تل أبيب" .

3) thorstein veblen the intellectual pre-eminenceof jewsin modera earope . the political science @ uarterly –34(1919 .

4) ابعزر ريبسكي : النهاية المكشوفة ودولة اليهود . "تل أبيب" .

5)في هذه الأيام فعلا تكشف جماعات محددة في المجتمع "الإسرائيلي" العلماني شان جديد في أصول إسرائيل لا يــرتبط بالميــل للعودة للدين والتسوية وفي نفس الوقت ، في أحداث كثيرة تبرز مشاعر ورغبات بأن علينا أن لا نضع بأيدي المتدينين كل إمكانيات والإشراف على الهوية .

6) jewish civilization . s.n .eisenstadt .n.4.1992-p.p.141—152 the origins ot zionism .

7) davvid vital .oxporel 1975.

Zionism.idem iot lord 1982 .

8) دور الدين في القومية . دراسة مقارنة بين القومية الأيرلندية والصهيونية ــ هدفا بين "إسرائيل" وكتاب الدين الهوية والقومية في أوروبا وأمريكا ت القدس 1986 صلى الله عليه وسلم 331 – 339 .

9) روت : أ :ط .ز .

10) يونه :أ:ط .

11) وعليه يوجد أساس للإدعاء بأنه ثبت أن طابع اليهودية كدائرة ثقافية مستقلة بذاتها سواءً الدين أو الشعب ، هكــذا توقعــوا ، باتجاهات مختلفة ، الحاخام الأكبر كوك ومردخاي وأرنولد توتيني ميزفيل ودرود في الأسباب الطبيعية " في مجلة اتجاهات العدد 9 .

في مكان آخر أتشجع للعمل بشكل أكثر اتساعا بهذه الظاهرة الحساسة ( تحت العنوان : أرض طيبة ومؤمنة ." هذه الظاهرة الــتي توجد الأفكار الدينية اليهودية من وجهة نظري .

شالوم جراشم ... شأن آخر . تل أبيب 1988 ص59ــ60 .

جالي جوربتس وجدعون أورن .. عن المكان : انتروبولوجيا "إسرائيلية " الفين 4 ص41 ــ 45 .

الجانب الديني في المعادلة يبحث بشكل واسع بالكتاب المذكور في الملاحظة رقم 4 إلى الجانب العلمــاني . انظــر :أ:ب يهوشــع المسئوليات الأخلاقية ــ "تل أبيب" والقدس ... وانظر ( علام نستطيع الحديث ؟) المدى صلى الله عليه وسلم 18ــ20 وجرشون وبلر : ثيوقراطية يهودية تل أبيب وكتاب يوسف أحاسي ( بين الدين والقومية ــ بصدد هوية قومية "إسرائيلية" ) تل أبيب وكتاب افيغدور لا قوانين .. ( صباح ومساء ) القدس سنة 1991 م

انظر : شموئيل ألموج ، القومية ، الصهيونية ومناهضة السامية القدس .ص126 ــ 136 وانظر أريك كارمون وممالك يهودية " تل أبيب 1994 صلى الله عليه وسلم 44 ــ 50 .

من الموضوع إلى الرمز : حيث في الآونة الأخيرة ادعى أيضا أريك هوبسباوم بأن اللغة العبرية الجديدة أن هي الإنتاج الصهيونية وهي تشبه على الإطلاق اللغة العبرية المعروفة . حيث يتوافق هذا الموقف مع الموقف الجدي لهويسباوم التي أحالت القومية كلها الى وهــم وثمرة للجبال .

انظر هو بسباوم القوميات والقومية منذ 1780م وانظر حدوه بين "إسرائيل" " ملاحظات كارثية على الصهيونية ــ اتجاهات عدد 10 .

انظر ثيودور نويلدك " SEMITIC LANGUAYES " الموسوعة البريطانية .

انظر : زئيف بن حاييم : في معركة اللغة ــ القدس وشلومو مورغ ــ العبرية الحديثة تتجسد لغة لسد احتياجات المجتمع ــ كاندرا عدد 56 ص70 ــ 92 .

عن فشل الحكومات لإقرار لغة (بما فيها الجمهورية الأيرلندية أقرأ hangnags stanelarin aitaon .

لكاتبة بونجا سلوكه رأي . وفيشمان reading in soeial proplemsseol long uages .

باريس 1968 ــ صلى الله عليه وسلم 763 .

بنيامين هرشب : بعث أرض إسرائيل والثورة اليهودية الحديثة .. خواطر عن صورة الوضع" ونوريت جريتس ( محررة ) نقطة مراقبة : ثقافة ومجتمع إسرائيل ــ تل أبيب ص7 ــ 31 وموضع " مقالة في إحياء اللغة العبرية ــ مجلة ألفين عدد 2 ص9 – 52 .

متحدثون صهاينة غير قليلة قدموا هذا الشذوذ كاستمرار مباشر للتوحد اليهودي على مدار التاريخ . كما ورد على لسان ديفيد بن غوريون : كل وجودنا التاريخي على امتداد يقارب 4000 ، كل التاريخ اليهودي وأيضا قيام إسرائيل هي ذاتها هي ظواهر فريدة نوعها ومن الصعب العثور على مثيل لها في التاريخ البشري " المؤتمر العالمي للشباب اليهودي سنة 1958 م .

القدس ص187 : انظر زئيف تسحور :بن جوربون كباني أسطورة ، وانظروا ديفيد اوطنا والملازم ويستريخ ( محرران) أسطورة وذاكرة . القدس ص139 .

انظر ملاحظة رقم 4 .

وريث الحاخام كوك على كرسي الرهبنة الأولى الحاخام هليفي هير تصوغ المهموم المترعجة جدا قضية وجود جهازين قضائيين في الدولة اليهودية المستقلة وقد أداره عدة مقالات بهذا لشأن مع رئيس مجلس كبار التوارتيين في أوروبا ما قبل الكارثة ( الحاخام ج.ع جرودجنسكي ) وانظر ي.أ هليفي هير تصوغ دستور لإسرائيل استنادا للتوراة . القدس . القسم الثاني 75 المعنوية " حكم الملك " تليبوت ص18 ــ 24 ابيعازر ربتسكي " في معرفة المكان " القدس ص 198 ــ 11 و ص 124 ــ 122 انظر أيضا :
history and eath : studiesin jewish te philosophy .
استردام ــ 1997 ص50 . 58 ، 69 .72 .

25) اليعازر شبيد : صهيونية ما بعد الصهيونية ــ القدس ص100ــ109 إريك كوهين .. "إسرائيل" كمجتمع ما بعد الصهيونية ــ ديفيد أو حنا والملازم ويسريغ ( مرون ) الأسطورة والذاكرة ــ القدس ص156 ــ 166 .

26)

27)

28) أ اورباخ ، من الصهيونية واليهودية : عدوات وتجارب .

29) حقا نرى أن العلماني تطلع إلى النجاح بوقت قصير بينما المتدين تطلع إلى للنجاح من حيث المبدأ على المدى البعيد .

30) الحاخام كوك طور رؤيا عميقة ، من خلالها زخرف الحل الصهيوني العلماني في هذه الرؤيا بحثت باتساع في الدين اليهودي والصهيونية ( استعن بالملاحظة رقم 4 ) ص86 ــ 118 حيث أعود أيضا لمقسم واحد من حديثه والذي قبل جيدا من قبل تلامذته " انظر أيضا .. اليعازر شبيد " اليهودية والثقافة العلمانية " القدس ص110ــ142 وبنيامين الشي شالوم : الصبر في ثنائية الحاخام كوك وجذورها المعادية ، المعرفة ــ العدد 20 ص151 ــ 168 .

31) زيراح ورهفتيج : دستور لإسرائيل ــ دين ودولة ــ القدس ص77ــ86 .

32) أحيانا يتم الحديث فقط بالتسليم عمليا وأحيانا بالاعتراف سبقا من القانون كنماذج الإقرار والاعتراف المبدئي انظر في الجانب ديفيد جروسمان " أنا احتاجكم وانتم تحتاجوني : يديعوت أحرنوت 95/11/23 وعلى الجانب الديني اوريال سيمون ــ شراكة علمانية دينية في بناء دولة يهودية ديمقراطية ت مجلة ألفين العدد 13ص154ــ166 .

33) جرشون شيكد : لا يوجد مكان آخر . تل آبيب ص 29 .

34) يونشان شابيرا " رفعة دون استمرار " تل أبيب" . وودان هوروبتش ومشي ليسكي " من الإقامة الى الدولة " تل أبيب" وأيضا آنيتسا شابيرا " أيام فرن الصهر " بئر السبع ص56 ــ 63 .

35) آمنون راز ــ كوركوتسكين مكاشفه داخل الحاخامية . نظرية ومراقبة 5 1994 ص125 ــ 130 .

36) آمنون روبنشتاين " ممن هرتزل حي " جوش ايمونيم " تجمع المؤمنين " وبالعكس . تل أبيب ص9ــ77 .

37) ديفيد لنداو : تحليل من هو يهودي : مثال على التأثير اليهودي والأمريكي على السياسيات " الإسرائيلية " اللجنة اليهودية الأمريكية ــ رمات جان 1996 وانظر موشي شميت : من هو اليهودي ؟! نشرة القدس .

38) الذكور توقع أيضا الفشل الطبيعي للمقولة القومية الصهيونية " والظلم على أرواحهم يتوافدهم وتجميعهم لأنفسهم في ( أرض إسرائيل ) لن تكون " انظر شالوم روبعر .. اتحاد مقدسي عرض نيويورك . انظر أيضا ابيعازار رافينسكي ": حركة مؤيدي لوبافتيش المعاصرة بين الصيانة أو التنظيم والضياع .م.ي مارتي و ر.س أبلبي " التزويد للتطرف " شياغو ولندن 1964 وانظر أيضا ما ورد في الملاحظة رقم 4 ص250 .

39) اريئيل روزن يتسبي : دولة يهودية وديمقراطية : آباء روحيون ، غربة وتكافل ". وانظر دقيقة براك ــ ايرز . دولة يهودية وديمقراطية : تل أبيب ص32ــ44 وانظر : وسياسية وقانونية ــ دولة يهودية وديمقراطية الوارد أعلاه ص198ــــ204 وانظر يتسحاق انجلرد : علاقات دين ودولة . الخليفة التاريخية الفكرية ص307 ــ 308 .

40) الحاخام ي سولبيتسكي " صوت قريبي يدق " في كتابه رجل الايمان . القدس 960 – 99 . وخمس مطالب ص94-95 وانظر ميخال روزنيك : الانسان اليهودي والدولة وانظر شاؤول يسرائيل وناحوم لام ويتسحاق روفائيل ــ كتائب اليوبيل تكريما للحاخام يوسف دوب هليفي سولوبتسكي القدس .

41) شلوميت ليفي وحنه ليفنسون وإلياهو كاتس : الايمان التمسك بالشريعة والعلاقات الاجتماعية في أوساط اليهود في "إسرائيل" معهد جوتمان للبحث الاجتماعي العملي ــ القدس .إصدار رقم 1 .

42) الإعلان يبدو هاما حيث فقد 16% أقل من جميع الأرثوذكسيين أعلنوا عن تمسكهم بالشريعة والصلاة .

43) هذا المعطي برز أيضا في الأبحاث التي جرت بمناسبة يوم الغفران في السنوات و.ز .

44) هذا المقال اهتم فقط بالتنافس الثقافي الجاري بين أبناء الشعب اليهودي . موضوع التعايش "الإسرائيلي" بين اليهود وغير اليهود بطرح كما يبدو أسئلة مختلفة ويتطلب معرفة بالآخرين والأغيار من وجاه نظر مغايرة .